3542 - لاَ فِي ولاَ في النَّفيرِ .

قَال المفضل : أولُ من قَال ذلك أبو سفيان بن حَرْب وذلك أنه أقْبَلَ بعِير قريش وكان رسول ا A قد تَحَيَّنَ انصرافها من الشأم فَنَدَب المسلمين للخروج معه وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً فَقَال لمجدىّ بن عمرو : هل أحْسَسْتَ من أحدٍ من أصحاب محمد ؟ فَقَال : ما رأيت من أحد [ص 222] أنكره إلا راكبين أتيَا هذا المكَانَ وأشار له إلى مكان عديٍّ وبسبس عَيْنَى رسول ا A فأخذ أبو سفيان أبْعَاراً من أبعار بعيريهما ففَتَّهَا فإذا فيها نوىً فَقَال : علائفُ يَثْرب هذه عيون محمد فضرب وجوه عِيْرِهِ فسَاحَلَ بها وترك بَدْراً يساراً وقد كان بَعَثَ إلى قريش حين فَصَلَ من الشأم يخبرهم بما يخافه من النبي A فأقبلت قريش من مكة فأرسل إليهم سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فأبَتْ قريش أن تَرْجِع ورَجَعَتْ بنو زهرة من ثنيَّة أجدى عدلوا إلى الساحل مُنْصَرِفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فَقَال : يا بنى زهرة لا في العير ولا في النفير قَالوا : أنت أرسَلْتَ إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر فواقعهم رسول ا A فأظفره ا تعالى بهم ولم يشهد بدراً من المشركين من بنى زهرة أحد .

قَال الأَصمَعي : يضرب هذا للرجل يحطّ أمره ويصغر قدره .

وروى أن عبد ا بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فَقَال : يا أخى لقد هممت اليوم أن أفْتِكَ بالوليد ابن عبد الملك فَقَال له : وا بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فَقَال : إن خيلى مَرَّتْ به فتعبث بها وأصغرها وأصغرنى فَقَال خالد : أنا أكْفِيكَهُ فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده فَقَال : يا أمير المؤمنين إن الوليد مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد ا بن يزيد بن معاوية فتبعث بها وأصغره وعبدُ الملك مُطرِق فرفع رأسَه وقَال : إن المُلُوك إذا دخَلوا قريةً أفْسَدُوها وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهلها أذلَّةً إلى آخر الآية فَقَال خالد : وإذ أرَدْنَا أن نُهْلِكَ قريةً أمرنا مُترفيها إلى آخر الآية فَقَال عبد الملك : أفى عبد ا تكلمى ؟ وا لقد دَخَلَ عَلَىَّ فما أقام لسانه لحنا فَقَال خالد : أفَعَلَى الوليدِ تعول ؟ فَقَال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا فَقَال خالد : وإن كان عبد ا يلحن فإن أخاه خالدا لا فَقَال له الوليد : اسكُتْ يا خالدُ فوا ما تعدُّ في العيرِ ولا في النَّفير فَقَال خالد : اسْمَعْ يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فَقَال : ويْحَكَ مَنْ في العير

والنفير غيري ؟ جَدِّى أبو سفيان صاحبُ العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النَّفِير ولكن لو قلت " غُنَيْمات وجُبَيْلاَت والطائف ورحم ا عثمان " قلنا : صدقت عَنَى بذلك طَرْدَ رسول A الحكَم إلى الطائف إلى مكان [ص 223] يدعى غَنيمات وكان يأوى إلى حُبْلةَ وهى الكَرْمة وقوله " رَحِمَ ا عثمان " لردِّهِ إياه